الخاتمـــــــة

عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال : « سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ستكون فتن كقطع الليل المظلم » ، قلت : يا رسول الله ؛ وما المخرج منها ؟ قال : « كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، مَن تركه من جبار قصمه الله ، ومَن ابتغى الهدى فى غيره أضلَّه الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن ولا تتشعب معه الآراء ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه ، مَن علم علمه سبق ، ومَن حكم به عدل ، ومَن عمل به أُجِر ، ومن دعا إليه هُدِى إلى صراط مستقيم » (١) . . .

صدقت يا سيدى يا رسول الله .

وكيف تخلق عجائبه ، وكل جيل يجد فيه الجديد ، ويكشف ما لم تفطن إليه أجيال من قبل ؟ وكل عالِم يجد فيه ضالته ، وكل مشكل من الأمور نجد فى كتاب الله دواءه .

ويمضى الإسلام فى توثيق العلاقات الإنسانية فى مجتمعه بإرساء قواعد اقتصادية على أنبل المبادئ ، وتطهير المجتمع من كل دنس ، فيُحرِّم من المعاملات :

١ - الغش ، فيقول الرسول ﷺ : « مَن غش أُمَّتى فليس منى » .

٢ - التطفيف فى الكيل والميزان ، فيقول القرآن الكريم : ﴿ **وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ** ﴾ (٢) .

---

(١) المستدرك للحاكم .

(٢) المطففين : ١ - ٣

ويسرى الحكم على كل تجاوز فى المعاملات .

٣ - الاحتكار ، وفيه يقول الرسول ﷺ : « مَن احتكر طعاماً أربعين يوماً فقد برئ الله منه » ، كما يقول : « لا ضرر ولا ضرار » (١) .

٤ - كل ربح حرام ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يكسب عبد مالاً حراماً فيُقبل منه ، ولا ينفق منه فيُبارَك له فيه ، ولا يتركه خلفه إلا كان زاده إلى النار » .

٥ - استغلال النفوذ ، وقد ورد فى حديث عامل الصدقة الذى زعم أن جزءاً مما حصَّل أُهدى إليه فظهر الغضب فى وجه رسول الله ﷺ وقام فخطب الناس قائلاً : « أما بعد . . فإنى أستعمل رجالاً منكم على أمور مما ولانى الله فيأتى أحدكم فيقول : هذا لكم وهذه هدية أُهديت لى . . . فهلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أُمه فينظر أيُهدى إليه أم لا ؟ والذى نفسى بيده لا يأخذ أحد منه شيئاً إلا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته » .

وتطبيقاً لهذا المبدأ كان عمر بن الخطاب يصادر ما كان يكسبه ولاته من أعمال لا يجوز لهم مزاولتها كالتجارة وما كان يأتيهم من هدايا .

كل ذلك رفده الإسلام بالتشريعات اللازمة ، وجعل مع ذلك الدولة مسئولة عن ضمان الحقوق الطبيعية للحياة ، فالحاكم فى الإسلام لا يتولى الحكم لمصلحته ، وإنما لمصلحة رعيته بأن يوفر لهم الضمانات الطبيعية للحياة ، فهو أول مَن يجوع وآخر مَن يشبع ، وأول مَن يسهر وآخر مَن ينام، وهو الراعى المسئول عن جميع رعيته .

ومن الحقوق الطبيعية للحياة التى يُسأل عنها الحاكم :

١ - إيجاد عمل لمن لا عمل له ، كما سبق أن أوضحنا من أن الرسول ﷺ أعطى القَدُوم لمن سأله ليكفه عن السؤال .

---

(١) متفق عليه .

٢ - كفالة الأسرة بفرض رزق لكل شخص منذ ولادته .

٣ - الإنفاق على مَن لا نفقة عنده ، ولا يوجد مَن تجب عليه نفقته إلى أن تهيء له الدولة عملاً إن كان قادراً كما فعل عمر مع اليهودى الضرير الذى رتب له مرتباً من بيت المال .

٤ - توفير التعليم والعلاج بالمجان لجميع الأفراد .

٥ - توفير الملاجئ للعجزة وذوى العاهات . ففى أيام عبد الملك بن مروان رتب للمقعد خادماً وللأعمى قائداً .

٦ - وبالجملة .. توفير الضمان الاجتماعى لكل مواطن وتأمين حياته والعمل على راحته وإسعاده [١] .

ونظام الاقتصاد فى الإسلام حقق النجاح الكامل كلما وُضِع موضع التنفيذ ... فلم تكد تمضى على وفاة الرسول ﷺ ثلاث سنوات حتى كان معاذ بن جبل واليه باليمن يشكو من امتلاء بيت مال الصدقات مما جعله يبعث منها إلى عمر بن الخطاب فى عاصمة الخلافة .

ويروى أبو عبيد فى كتابه « الأموال » هذا النبأ فيقول : « إن معاذ بن جبل لم يزل بالجند إذ بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن حتى مات النبى وأبو بكر ، ثم قدم على عمر فردَّه على ما كان عليه فبعث إليه معاذ بثُلث صدقة الناس ، فأنكر عمر ذلك وقال : لم أبعثك جابياً ولا آخذ جزية ، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فتردها إلى فقرائهم ، فقال معاذ : ما بعثتُ إليك بشئ وأنا أجد أحداً يأخذه منى . فلما كان العام الثانى بعث إليه شطر الصدقة فتراجعا بمثل ذلك ، فلما كان العام الثالث بعث إليه بها كلها ، فراجعه عمر بمثل ما راجعه قبل ذلك ، فقال معاذ : ما وجدتُ أحداً أخذ منى شيئاً » [٢] .

---

(١) أصول الاقتصاد السياسى فى الإسلام - للأستاذ محمد عطية خميس ص ٩٠ ، ٩١

(٢) الأموال - لأبى عبيد ، ص ٧٨٤ ، ٧٨٥

لقد أثمر نظام الإسلام وعدله فى أعوام قليلة هذه الثمرة من الغنى والاكتفاء والاستقرار ، فهل رأت الدنيا مثل ذلك ؟ وهل رأت الدنيا حاكماً مثل عمر ينكر على واليه أن يرسل إليه المال من الأقاليم إلى العاصمة ؟ ويُذكِّر الوالى بأنه لم يبعثه لجباية الضرائب وأخذ المكوس الجائرة - كما يفعل الملوك والأباطرة - . . . لولا أن الصحابى الجليل أقنع أمير المؤمنين بأن الناس فى إقليمه قد أظلَّتهم الكفاية والعدل ، وأنه لم ينس أمر الرسول له حين بعثه ، «أن يأخذها من أغنيائهم ويردها إلى فقرائهم » .

والمسلمون فى كل الأقاليم أُمَّة واحدة ، فإذا استغنى أهل بلد وفضل من زكاتهم ما لا حاجة بهم إليه ، وجب أن يُعان أهل بلد آخر ، أو تتصرف به حكومتهم المركزية بما فيه الخير لجماعتهم ودينهم (١) .

والآن - وقد بسطنا منهاج الإسلام الذى شمل الحياة بكل جوانبها - فهل يصر البعض على أننا ليس لنا برنامج ؟

أخيراً . . . : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُواْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُواْ كَالَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ * اعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢) .

اللَّهم اهدنا إلى صراطك المستقيم . . . وصَلِّ اللَّهم على محمد النبى وعلى آله وصحبه وسَلِّم .

* * *

(١) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام - للدكتور يوسف القرضاوى ، ص ١٣٩ ، ١٤٠

(٢) الحديد : ١٦ - ١٧